النفائس العصرية

مجلة فكاهية ادبية

لمنشئها

خليل بيدس

١٥ و٢ ايار سنة ١٩٠٩

جلالة السلطان محمد رشاد خان الخامس

ولد في ٢١ شوال سنة ١٢٦٠ الموافق ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٤٤ . ونودي به سلطاناً في ٦ ربيع الاخر سنة ١٣٢٧ الموافق ٢٧ نيسان سنة ١٩٠٩

***

هو ابن السلطان عبد المجيد وشقيق السلطان المخلوع عبد الحميد واصغر منه بسنتين . عمره خمس وستون سنة قضى منها نحو ثلاثين سنة محجوراً عليه عملاً بالعادة المتبعة في معاملة ولاة العهد بعد

السلطان احمد الاول . وذلك انه لما تولى اخوه السلطان السابق اسكنه في سراي طولمه بغجه وأقام عليه الحرس ودسّ حوله الجواسيس . وقد بلغ من امر هذا القصر في ابان عصر الاستبداد ان المارّ بجانبه لا يجسر على الوقوف عنده او النظر اليه طويلاً ولا التحدث بشأنه

ويذكرون من امثلة ذلك ان رشاد افندي واخاه كمال الدين افندي جاءا سراي يلدز في احد الاعياد الكبرى منذ بضع عشرة سنة لتقديم فروض المعايدة للسلطان عبد الحميد وقتئذٍ وهما في حضرته فتح باباً الى جانبه بان من ورائه سيدتان عليهما امارات الجلال والعظمة هما الاميرتان سنيه سلطانه وجميله سلطانه بنتا السلطان عبد المجيد اي اختا عبد الحميد افندي واخويه

فلما التقت العيون تهيَّب الاميران وخجلت الاميرتان وأنكر الاخ اخته والاخت اخاها لانهم لم يتقابلوا منذ ١٥ سنة . فاطرقت الاميرتان تأدباً . فعمد عبد الحميد افندي الى تعريفهم بعضهم الى بعض . فاومأ بيده للاميرتين قائلاً (اختاي) والى الاميرين وقال (أخواي) . فلم يكن ذلك كافياً ليذهب الدهشة التي تولت الجميع . ثم اقفل الباب وانصرف كل الى حال سبيله

والحجر عَلَى ولي العهد في قصره لم يكن يُراد به ان يكون سجيناً لا يخرج مطلقاً . فاذا خرج منه احياناً سارت مركبته في

طريق عليها الحراس والرقباء و يحدق بعربته الحجاب على افراسهم يظهرون للناس انهم يحرسونه وهم في الحقيقة عيون عليه يراقبون كل حركاته وسكناته وكل ما يبديه الاهالي من نحوه اثناء مروره بينهم

وهو تقي صالح طيب السريرة صادق اللهجة حسن القصد نحو الجميع لم تتغير هذه الخلال فيه منذ نعومة اظفاره ولم يُسمع انه عورض في قول او روى رواية لا صحة لها · وكان منذ حداثته يحب الدرس والمطالعة و يرغب في العلم · ولقد كان تعلقه بأبيه واخوته شديداً · ومما يذكر انه لما توفي ابوه السلطان عبد المجيد جزع حتى اراد ان يلقي بنفسه في البوسفور لولا اخوه مراد · وكان جريئاً مقداماً مستقل الفكر حتى في اضيق ايام الحجر عليه · فكان لا يبالي ان يصرح بما يجول في خاطره في انتقاد السياسة حتى بين يدي رجال المابين انفسهم · وكان يقضي معظم اوقاته في مطالعة الشعر الفارسي حتى صار شاعراً · وهو يحسن التركية والعربية والفرنسوية وقد توسع في دروسه ولو أُتيح لهُ لكان من اعاظم رجال العلم

ومع التضييق عليه كانت لا تفوته ما جريات الاحوال في العالم المتمدن · وفيه نزوع الى الحرية الشخصية والحكومة الدستورية وقد كان في مقدمة الفرحين باعلان الدستور

وهو ربعة القامة ازرق العينين واسعهما قمحي اللون عريض الكتفين بلا احديداب جيد الصحة

وقد رقي الان عرش آل عثمان بحكم نظام الارث في هذا البيت الفخيم الصادر نحو سنة ١٦١٠ . فقد كانت الخلافة في السلطنة العثمانية قبل السنة المذكورة يتوارثها الابناء عن الاباء غالباً حسب عادة ملوك اوربا اليوم . لكن حدث انه لما توفي السلطان محمد الثالث وخلفه ابنه احمد الاول وكان مراهقاً (ابن ١٤ سنة) تضعضعت امور السلطنة في عهد حداثته تحت وصاية امه ووكالة الصدر الاعظم . وقد استبد الصدر ووالدة السلطان بالملك استبداداً شديداً بحيث لما بلغ السلطان احمد سن الرشد جاهد جهاداً كبيراً حتى اخذ السلطة من والدته ووزيره الاكبر . فاتفق مع مجلس العلماء على تغيير نظام الملك وجعله للاكبر سناً من الذكور من البيت المالك تفادياً من استبداد النساء والوزراء . ولما مات السلطان احمد سنة ١٦١٧ تولى الملك عمه مصطفى الاول لا ابنه عثمان . وهكذا تمشى الخلفاء على هذا النظام الى اليوم . وقد اثبت القانون الاساسي هذا النظام . وعليه فيكون ولي عهد السلطنة الجديد الامير يوسف عز الدين افندي نجل السلطان عبد العزيز (ولد سنة ١٨٥٠) ويتلو الامير يوسف عز الدين افندي في ولاية العهد الامير سليمان افندي شقيق السلطان محمد الجالس اليوم سعيداً (وُلد سنة ١٨٦٠) . ثم اخوه الامير وحيد الدين افندي وهو اصغر انجال السلطان عبد المجيد (وُلد ١٨٦١) . ثم الامير صلاح الدين افندي نجل السلطان مراد الخا

(وُلد سنة ١٨٦٦) . ثم الامير عبد المجيد افندي نجل السلطان عبد العزيز وعمره زهاء الاربعين . وآخر اولياء العهد الامير سليم افندي اكبر انجال السلطان عبد الحميد ا

***

ومن الادلة علَى ميل جلالة السلطان الحالي الى الحرية والشورى وتفانيه في خدمة الامة العثمانية وترقية البلاد الى اوج العمران الحديث التالي فاه به جلالته ثاني يوم جلوسه علَى العرش اي في الثامن والعشرين من نيسان وقد ذكره مراسل جريدة الديلي كرونكل الانكليزية الذي نال الاذن بالمثول لدى جلالته بواسطة الفريق الشهير شوكت باشا وخيري بك طبيب جلالته الخاص وقد نشر خلاصة حديث جلالته في جريدته كما ترى تعريبه ادناه اخذاً عن الصحف الموثوق بها : قال جلالته — انت اول اوربي قابلته منذ ثلاث وثلاثين سنة واول صحافي دخل عليَّ في هذا القصر

ومن جملة ما قاله جلالته : ان الانكليز كانوا دائمًا اصدقائي وان موقف الامة العثمانية الآن موقف حرج . وكان اعدائي يتهمونني بالبله والبلادة ولكن مشيئة الله اختارتني اليوم لان أتولى مصلحة الاسلام واودي واجبي وان الصحافة في العالم وعلى الخصوص الصحافة الانكليزية امامها فروض يجب ان توءديها واعتقادي ان

الرجل الحامل السيف قادر ولكن الرجل الحامل القلم هو الاقدر

ومن اقواله انه معجب بالملك ادوار السابع الذي يجله عن استحقاق ملايين من المسلمين الذين تحت حكمه وهو خليفة عظيم.

قال — واني قاصد يلدز الان لاؤيّد بكل عزم حرية الامة وأحمي املاكها واكون من جهة اخرى نصيراً للسلم ونصيراً للتضامن العمراني. ثم كلف محدثه ان ينقل الى امته البريطانية تحيات جلالته ويرجوها ان تبادله عواطفه الحبية وتوئيد فيه الرجل الصاعد الى العرش العثماني متهيباً وجلاً. ثم عاد فقال لمحدثه — كن ترجماني لدى العالم كله في هذا الحديث وأعلن اني كنت كل حياتي نصيراً للحرية والاصلاح. اما وقد اختارني الله الان لتولي سلطنة آل عثمان فاني مستشعر باهمية المطلوب مني والمسؤولية الملقاة على عاتقي وأسأله سبحانه وتعالى ان يهديني الصراط المستقيم ويلهمني الحكم بالعدل بين شعبي على اختلاف مذاهبه

واثنى جلالته في الختام على رجال تركيا الفتاة وأعلن انه كان طول حياته موءازراً لهم ومتمنياً نجاحهم ونجاح الدستور لانه لا يرى في خطتهم ولا في الشريعة المحمدية الغراء ما ينافي الحرية والدستور. وختم حديثه بالضراعة للمولى عز وجل بان يسعد الامة البريطانية فقد كانت دائماً صديقة للامة العثمانية

وقد قال جلالته لما قابله الوفد المرسل من الجمعية العمومية:

« انا سعيد بان اكون اول ملك دستوري في تركيا . وقد تألمت انا ايضاً من الضغط . ولذلك فانا افهم عواطف كل الذين تألموا . فلنسع جهدنا لنعمل معاً على خير البلاد »

فاه جلالة السلطان بهذا الكلام عند ارتقائه العرش فكان كلامه كخطاب يوجه الى العالم كله والى شعبه على وجه خاص . قال السلطان قولاً لابد من وزنه لانه لم يرم الكلام على عواهنه ولم يلق الحديث بلا سبب ولا علة . ظل ولي عهد السلطنة العثمانية والخلافة الاسلامية ٣٣ سنة سجين قصره محبوس اليد واللسان فقيل فيه ما لم يقل بمعتوه ورُمي بما لا يُرمى به احقر الناس وهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه . فلم يجد بداً من ان يقول للعالم « ذمني اعدائي وقالوا اني مجنون واني معتوه ولكن الله اراد بمنه ورحمته ان يدعوني اليوم الى القيام بما قُدّر عليَّ القيام به » اجل انه لم يكن له بدٌّ من الشكوى والتذمُّر والتبرم بعد طول الذم والهجر وبعد ان ملأ اعداوءه الدنيا بتلك المسابّ التي لم يصدقها احد من العثمانيين ولم يثق بها احد من الاوربيين لانهم عرفوا رشاداً وهو ابن ٣٣ سنة ذكي الفوءاد طيب السيرة والسريرة

وبعد دفع تلك التهمة عنه رأى مولانا وسلطاننا ان محدثه انكليزي فجامله بقوله ان حياتنا الان محفوفة بالمكاره وانا اعرف ان الانكليز كانوا دائماً اصدقاءنا المخلصين

ولقد ظهر جلالته حكيماً عاقلاً بقوله « اذا كان رب السيف قوياً فرب القلم اقوى » وهي عبارة يجب ان تُوثر عنه للتاريخ . لان السيف اذا فعل مرة فالقلم يفعل دائماً واذا اذلّت السيوف الامم حيناً فالاقلام تعززها احياناً . وهذه حكومة الفرد في الاستانة استندت الى السيف ثلث قرن كامل فزعزع اركانها القلم كما زعزع تلك الاركان في فرنسا وانكلترا وايطاليا وروسيا

ثم انتقل جلالته الى برنامجه السياسي فقال « اني ذاهب الى قصر الملك لاسند دعامة الحرية واصون الملك وساكون في سياستي داعي السلام والوئام بين الجميع » . وهو قول طيب ترتاح اليه الرعية في الداخل والدول في الخارج . اما الرعية فلان السلطان الذي ذاق مرارة الاستبداد طول عمره يشعر من نفسه كيف يتألم الرجل الذي يستبد به فلا يستطيع بعد هذا ان يظلم الناس كما ظُلم هو . واما الاجانب فلانهم يرون فيه سلطاناً يدعو الى السلام والوحدة والاخاء

وقد اعلن للرعية منهجه بقوله « اني لا افرق في العدالة والرحمة بين رعاياي سواء كانوا من المؤمنين او من النصارى او سواهم » . ثم قال « واذا كان لسانه سكت عن الكلام دهراً طويلاً فان جنانه كان يناجيه دائماً بالحرية والحكومة الدستورية » وهو ما نعلق عليه آمال احسن الله المآل وهداه الى صالح الاعمال

٭

وجلالة السلطان اربعة اولاد وهم : ضياء الدين افندي (وُلد سنة ١٨٧٧) ونجم الدين افندي (١٨٨١) وعمر حلمي افندي (١٨٨٣) ورفيعه سلطانه (١٨٨٧)

وجلالة السلطان الحالي هو الخامس والثلاثون من سلالة عثمان . وهذه اسماء السلاطين من عثمان الى محمد الخامس : عثمان الاول . اورخان الاول . مراد الاول . بايزيد . محمد الاول . مراد الثاني . محمد الثاني . بايزيد الثاني . سليم الاول . سليمان الاول . سليم الثاني . مراد الثالث . محمد الثالث . احمد الاول . مصطفى الاول . عثمان الثاني . مراد الرابع . ابرهيم الاول . محمد الرابع . سليمان الثاني . احمد الثاني . مصطفى الثاني . احمد الثالث . محمود الاول . عثمان الثالث . مصطفى الثالث . عبد الحميد الاول . سليم الثالث . مصطفى الرابع . محمود الثاني . عبد المجيد الاول . عبدالعزيز الاول . مراد الخامس . عبد الحميد الثاني . محمد الخامس .

هوءلاء هم سلاطين بني عثمان ملك اولهم سنة ١٢٩٩ وملك آخرهم سنة ١٩٠٩ . أدام الله ملكهم وأعزّ عرشهم

———

تاريخ الانقلاب العثماني العظيم

(لما كانت الحوادث الاخيرة التي جرت في الدولة العثمانية على اعظم جانب من الخطارة والاهمية في تاريخ الامة العثمانية احببنا ان ندوّن تفاصيلها لقرآء مجلتنا لتُحفظ عندهم كأثر تاريخي مهم يتداوله الخلف عن السلف. وقد اقتطفنا بعضها من الصحف الوطنية والاجنبية)

١

كانت البلاد العثمانية في عهد الدولة الظالمة مسرحاً للقاهرين وميداناً للمتلاعبين وطعمة للطامعين. ضرب على عامتها الذل والخضوع فتشتتت كلمتهم وساءت احوالهم. وقد كبلهم اولئك العتاة السفاحون بقيود العبودية وابتزّوا اموالهم وامتصوا دماءهم وهم لا يجسرون على الشكوى ولا يستطيعون الى المدافعة سبيلاً. وقد اريقت في هذه البلاد الدماء البشرية على أفظع ما يتمثله الخاطر وتتصوره النفس حتى ضُرب فيها المثل بالاستعباد والاستبداد والهمجية والتوحش وكادت تصبح غنيمة تتقسمها دول المغرب لقمةً فلقمةً كما ابتلعت كثيراً من ايالاتها واملاكها. وما زالت النوازل والنكبات تتنابها الحين بعد الحين الى ان قدّر الله لها ضراغم

نهضوا نهضة عجيبة فقلبوا وجه سياستها وادخلوا فيها الحكم الدستوري منذ تسعة اشهر وحلفوا انهم يذودون عن حياض الدستور ما بقيت فيهم بقية. وما هوءلاء الضراغم الا رجال جمعية الاتحاد والترقي الذين برهنوا للعالم اجمع انهم من مشاهير دهاقنة السياسة والادارة وليس في العثمانيين مَن يجهل فضلهم عَلَى المملكة جمعاء ولا سيما في هذه الاونة الاخيرة حينما ثارت فتنة الاستانة وامتدَّت الى جهات كثيرة في السلطنة وكادت تلاشي الدستور وتجعل البلاد قاعاً صفصفاً

كانت غاية هذه الجمعية المحترمة منذ اكثر من ثلاثين سنة تحرير الشعب العثماني من ربقة الاستعباد. وفي سبيل هذه الغاية الشريفة فادت الجمعية بدماء رجالها ولم تستهوها المناصب ولا شاقتها السيادة. وظلَّ رجالها يركبون المراكب الخشنة ويقتحمون الاخطار ويجاهدون جهاد الابطال حتى مهَّد الله لهم سبيل النجاح فصدموا دولة الاستبداد تلك الصدمة الهائلة واعلنوا في البلاد الدستور واعادوا الى الشعب حريته وقلبوا الحكومة من مستبدَّة مطلقة الى شورويَّة مقيَّدة بدون ان يريقوا قطرة من الدماء. ولما استتبَّ لها الامر او كاد اخذ دعاة الاستبداد والارتجاعيون يكيدون لها المكايد ويختلقون عليها الاكاذيب ويثيرون ضدها خواطر العامة ويفسدون ضمائر العساكر الموالية للدستور ويعزون اليها اهمال

الشريعة والاستئثار بالمنافع الشخصية والسيطرة على الحكومة الى غير ذلك من التخرُّصات . وقد افرغوا ذلك كله في قالب يوهم المسلمين في العالم بانهم هم المدافعون عن الاسلام حيث قاموا يطلبون العمل بالشريعة الغراء ويتهمون رجال الاتحاد والترقي حماة الدستور الصادقين بانهم اعداء الدين . ولما رأوا ان عواطف العامة قد هاجت وان القلوب قد امتلأت لعبوا لعبتهم الجهنمية فارسلوا من قتل محرر جريدة سربستي (حسن فهمي بك) ووجهوا التهم الى جمعية الاتحاد بدعوى ان محررها كان ينتقد الجمعية انتقاداً جارحاً فقتلته تشفياً وانتقاماً . وكانوا قد بثُّوا صفطاءهم ودعاتهم في الاستانة والولايات يحرّضون العساكر والعامة . وباغرائهم ودسائسهم هاجت الضغائن والاحقاد الدينية حتى ادارت رحى الذبح والقتل في بعض ولايات الاناضول حيث قُتل وذبح نحو ستين الف ارمني ذبح الاغنام كأن هوءلاء المساكين هم سبب معاداة الاحزاب ووثوبها ببعضها . . .

ويقول الخبيرون ان السلطان مالأ الثوار ونشطهم وأغرى الجند بالمال ليقوموا علَى مجلس النواب ويمحقوا الدستور ويعيدوا الحكم المطلق . وقيل انه قد انفق على هذه الحركة بضعة ملايين من الليرات . . .

وكان قائد هذه الفتنة مراد بك الداغستاني الشهير الذي كان

من زعماء جمعية الاتحاد والترقي منذ بضع عشرة سنة ولكن خانها مع الخائنين وسلم اوراقها للسلطان ورضي بان يتقاضى منه مالاً على ذلك بعد ان كان من اشدّ المبالغين في الطعن فيه والتحريض عليه. وهو رجل متوقد الذكاء ولكنه من اهل الطمع والانانية. وكان في عهد نفوذه عاتياً متسلطاً يسخر كل الناس لقضاء مآربه و يتلاعب بالكبير و بالصغير حتى بالسلطان نفسه. ولما تمّ الانقلاب الاول وفازت الجمعية باعلان الدستور في ٢٤ تموز المشهور طلب ان يدخل في الجمعية لما رأى من نفوذها فأبت عليه فأضمر لها الكيد واخذ يسعى في اسقاطها. فألّف في السر جمعية دُعيت «الاتحاد المحمدي» وسنّ لها قانوناً يجيز لكل مسلم ان يكون عضواً فيها ولم يذكر في لائحتها وغايتها مطلباً صريحاً

وكان المشائخ (الصفطاء او الصوفته) من اعضاء هذه الجمعية. فهؤلاء كانوا ناقمين على جمعية الاتحاد والترقي لانها تدعو الى جمع العناصر العثمانية بلا تمييز بين الاديان ولان بعض اعضائها يتطرف في كلامه عن الاسلام و يبالغ في التساهل. فأخذوا ذلك حجةً على الجمعية وقاموا يثيرون خواطر الجنود عليها..

ولما امتلأت مسامع الجنود تحريضاً وقلوبهم موجدةً وجيوبهم مالاً استسهلوا كل صعب واستعذبوا كل مورد ولو كان أمرّ من العلقم وما لبثوا ان وثبوا بالجمعية يريدون اغتيالها وقد اندفعوا الى

ثورة هائلة كادت تكون القاضية على الدستور واهله لولا ان قامت الجمعية في وجهها قومة اذهلت العالم باسره فمزقت شمل اعوان التأخر والتقهقر وعززت الدستور وخلعت السلطان المستبد وضربت على ايدي الاثمة اعداء الدستور واعداء البلاد كما ترى تفصيل ذلك فيما يلي· فلتحيَ هذه الجمعية الكريمة وليحيَ ابطالها وانصارها حماة الوطن وسياج الدستور لانهم قد سحروا اهل السياسة بمبادئهم السامية وسياستهم السديدة وتدابيرهم المحكمة وعثمانيتهم الصادقة و برهنوا للعالم المتمدن ان جمعيتهم انما هي هيئة فعَّالة جامعة بين العقل والقوة وانها لا تُغلب بحيل المحتالين من الذين ارتقوا بالنفاق والمكر والرياء في عهد السلطان الساقط بل تقطع دابر كل عدو للدستور بعزم شديد ويد من حديد

٢

كان بدء الثورة في الاستانة الساعة الثالثة افرنجية من صبيحة يوم الثلاثاء الواقع في ١٣ نيسان (٣١ اذار ش) في ثكنة كمبرخانه· فان الجنود عند ما هبوا من رقادهم تقلد ٤٠٠ منهم البنادق ونزلوا الى باحة الثكنة وقالوا لضباطهم انهم يأبون خدمة حكومة مضى عليها ثمانية اشهر ولم تفعل شيئاً لخير الوطن والامة· فتعجب الضباط غاية العجب من هذا الكلام وحاولوا ان ينصحوا الجنود و يحملوهم على الركون الى السكينة فلم ينتصحوا بل قابلوا الضباط بالشتائم والقوا

القبض على البعض منهم وأوثقوهم وضربوهم ضرباً مبرّحاً ثم خرجوا ومرّوا بالشوارع وتوجهوا الى ساحة اجياصوفيه وهم يطلقون البنادق · وكانت تلك علامة قد اتفقوا عليها من قبل · وما كان الا القليل حتى اصبحت الشوارع كالانهر تتدفق بالجنود وكلها تصب في البحر الاكبر وهو ساحة اجياصوفيه وميدان السلطان احمد وحديقة الملة · وما ازفت الساعة الثالثة بعد الظهر حتى كان في تلك الساحة نحو ثلاثين الف جندي من جميع الفرق واصناف الطوابير · فاستولى الرعب على السكان ولجأ الناس الى الفرار · وتوءكد الصحف ان الصفطاء وجمهوراً من رجال الدين كانوا بين المتمردين يحرضونهم على الثورة والمقاومة · اما الحكومة فان ناظر الحربية حينما علم بالامر عقد مجلس اركان الحرب وتشاور معهم في الطرق التي يجب اتخاذها فقرَّروا ان يضعوا المدافع على كبري غلطة ليمنعوا الجنود التي تود الالتحاق بالمتمردين عن اتمام عملهم · فوضعت المدافع في الاماكن التي أُعدت لها عَلَى الكبري ولكنها لم تستعمل عمداً · وكان قد صدر الامر الى نظارة البحرية بان تجعل السفن عَلَى تمام الاهبة والاستعداد وبان تعد قسماً من النوتية لحفظ النظام · ففعل هوءلاء ما فعله جنود الحامية اي انهم انضموا الى الثائرين والذين ظلوا عَلَى ظهر السفن اسرعوا فعطلوا المدافع لئلا تستخدم ضد الثائرين وحينئذٍ ادرك ناظر البحرية والحربية ان معظم جنود البر والبحر قد تمردوا وان العدد القليل الثابت عَلَى الطاعة لا يمكنه ان يفعل

شيئاً ضد الثائرين ولهذا عدلا عن استعمال القوة . ثم عقد حالاً مجلس النظار في الباب العالي للمداولة في ما يجب عليهم عمله ولم يلبثوا ان اوفدوا شيخ الاسلام ضياء الدين افندي الى الثائرين للوقوف على مطالبهم. فلما رآه الثائرون اجلّوا وفادته وخاطبوه قائلين : انت زعيم ديننا فقد قال لنا ضباطنا في البدء اننا سنحارب الحكومة القديمة لتنفذ الشريعة فضحينا حياتنا في سبيل ذلك. ولما تمّ الانقلاب رأينا هؤلاء القوم يفعلون ما يخالف الشريعة ويسعون في خدمة اغراضهم الخصوصية ويقتلون الناس الامر الذي يخالف الشرع . اما مطالبنا فهي اولاً وضع الشريعة موضع التنفيذ وجعلها اساس التشريع. ثانياً عزل الصدر الاعظم وناظري الحربية والبحرية ثالثاً عزل احمد رضا بك من رئاسة مجلس النواب وتعيين اسمعيل كمال بك رئيساً للمجلس طول حياته وتعيين زهراب افندي وكيلاً له. رابعاً نفي النواب احمد رضا بك وحسين جاهد بك ورحمي بك وجاويد بك. خامساً عزل ضباط الاي الاوجي.. ولما رجع شيخ الاسلام بهذه المطالب ذهب الصدر الاعظم وناظرا البحرية والحربية حالاً الى القصر السلطاني وقدموا استعفاءهم . وكان فريق من الطوبجية قد خرج من الثكنة وذهب الى القصر السلطاني وطلب من السلطان ان يذهب الى الباب العالي ويأمر بحلّ المجلس وبتأليف وزارة جديدة واعلان الشريعة . فارسل

السلطان مع جاويد بك السكرتير الاول للمابين رسالة الى مجلس النواب يقول فيها « ان الحضرة الشاهانية قد قبلت استعفاء الوزارة. والوزارة الجديدة تؤلف الان. وبمان ان خير الوطن والبلاد والراحة مضمونة فالجنود الشاهانية الذين حضروا الاجتماع وجميع الذين انضموا اليهم لا يعدّون بوجه من الوجوه مسؤولين ولا يعاقبون عن هذا الفعل. ولهذا صدر عنهم العفو العام ... » وعلى اثر ذلك تألفت الوزارة الجديدة وأُسند مسند الصدارة الى توفيق باشا. اما نواب الامة فقد حضر منهم الى المجلس ستون نائباً وبعد ان تذاكروا في الحالة وفيما اذا كانوا يسقطون الوزارة او لا يسقطونها لانهم ليسو الاغلبية قرروا ان يرسلوا وفداً الى السراي ليبلغ السلطان عدم ثقتهم بالوزارة عدده عشرة نواب (وكان الامير محمد ارسلان فقيد شجاعته ووطنيته في عدادهم). وبعد ان خرج رجال الوفد ومشوا خطوات منعهم الجند بحجة انهم يفرّون من اجابة مطالبهم. ولما رأوا استحالة اقناع الجنود بصدق نيتهم زحفوا الى المجلس. وبينا هم راجعون نظر احد الجنود الى رفاقه وقال لهم عن الامير محمد « هذا هو حسين جاهد » فما كان منهم الا ان وجهوا الى غصنه الرطيب بنادقهم وجعلوه هدفاً لرصاصهم فشووه بالرصاص شيئاً حتى بلغ عدد ما أصابه منها الستين على ما يقال. ولم يكتفوا بذلك بل شنعوا به تشنيعاً بحرابهم. وقد قُتل في ذلك النهار ما خلا

الامير ناظم باشا ناظر العدلية والشريف يحيى باشا ناظر البحرية وقتل عدد من الضباط وجرح كثيرون٠٠ ولما علم الجنود بسقوط الوزارة وبتأليف اخرى جديدة وبصدور الارادة السنية بالعفو عنهم اقرّوا عَلَى العودة الى ثكناتهم٠ لكنهم ارادوا ان يظهروا فرحهم بفوزهم فظلوا في الشوارع ثلاث ساعات يطلقون بنادقهم في الهواء وقد اطلقوا تلك الليلة اكثر من عشرين الف طلق ناري اهتزّت لها جوانب المدينة وظن كثيرون ان واقعة دموية هائلة نشبت بين الجنود (ستأتي البقية)

كلام الملوك ملوك الكلام

او صحيفة من كتاب الاستبداد

عثرت في مطالعاتي الاخيرة عَلَى صورة كتاب قد ارسله ساكن الجنان السلطان مراد الخامس الى اخيه السلطان السابق عبد الحميد فاحببت تعريبه ليطلع القراء عَلَى تلك المبادي الشريفة والمرامي الحرة التي دفنت مع صاحبها في اعماق الارض وليروا من خلال السطور ما كانت عليه حالة ذلك العهد الدموي٠ قال:

ما زلتُ بانتظار جوابكم عَلَى كتاباتي بشان حفيدتي التي قضت نحبها وما قضت من هذه الدار الفانية لبانة لانها لم تقم فيها اكثر من اربعة اشهر وما زال جثمانها امامي ينتظر التوسد في

الثرى · اعجب كل العجب بذلك واحير في القاء تبعته! أعلى الانسانية والحمية والاخاء التي اتوقعها منك ام علَى سوء حظي المنكود ؟

اخي ! اضرب صفحاً عن هذه الامور · انظر بعين نقادة الى جسم الامة الملطخ بالدماء والملقى علَى تراب الذل والهوان فهو يمثل لك شجاعاً تجرع كأس الشهادة وخر صريعاً في ساحة الجهاد بعد ان ابلى بلاء حسناً · افتكر بفكرة وقادة ان عرش العثمانيين الذي ارتقيت سنامه واعتليت هامه بفضل اجدادنا العظام قد اوشك علَى التزازل وتداعى الى السقوط · دع عنك الطمع والغرض ولا تملكهما نفسك فان ما كانوا يسمونه قديماً «الملك عقيم» قاعدة كانت من لوازم تلك الايام التي كانت تتحكم فيها الشخصيات وتستبد السلطات اما الآن وقد تبدلت الاحوال فلا محل للاسترسال الى الظنون والاوهام · اذا اعدتَ بصرك الى ايام صباي ووزنت بميزان الانصاف ما كنت اعاملك به من الرقة والشفقة لا تتكبر عن الاعتراف باني لست من الحريصين علَى تاج السلطنة الوهاج وان اهم ما يهمني ان ارى هذا الشعب الآمن وآل بيت السلطنة في اقصى درجات المجد

قضت الظروف بان اتقيد عن القيام باعمال عظيمة شربتها روحي وتعشقتها نفسي و كنت اود من صميم فوءادي ان ارى اتمامها علَى يدك واعد ذلك من موجبات السعادة العظيمة لي فطاش سهمي

وخاب فألي واصبحت ابكي بكاء الثكالى عَلَى ما آلت اليه الحال فان كنتَ لا ترى ما ارى تمعّن قليلاً بتلك الفئة القليلة التي ترتبط حياتها ومستقبلها بافعالك وآمالك وستكون رجال الغد اعني بهم ابناءنا . فهؤلاء الصبية كالخراف الرضيعة لا يفرقون بين الغث والسمين ولا يعرفون النافع من الضار ولكنهم سيلقونَ في ايام حياتهم القادمة من المعضلات والمخاطر ما تشيب لهوله الولدان

اخي ! عامل الناس بالرفق والحسنى واعلم ان الضمير لا يملك بالزجر بل يتطلب تزلفاً وتودداً اكثر من اكبر الملوك وابعدهم مرمى في العظمة والخيلاء

اخي ! لا توجس خيفة مني فانا اكراماً للشعب العثماني الذي اجله واحترمه اخدمك بكل ما تصل اليه قواي ولا آنف عن مساعدتك في السراء والضراء اذا انت سلكت المحجة البيضاء وتمسكت بالحكومة الشورو ية المشروعة

عَلَى انني اعتقد بان كلامي هذا لا يحل محل القبول منك و يكون كصرخة في واد او نفخة في رماد لان الحرص والغفلة المستحكمين بك يريانك ذلك بعيد المنال وانه فوق الامكان ولكنك اذا تذكرت ان نفس هذا العمل قام به المرحوم علاء الدين باشا احد اجدادنا تحققت صدق كلامي فانا لا ازال ولن ازال متمثلاً بذلك الرجل العظيم ومتفاخراً بجليل اخلاقه وصفاته

اخي : لا تدعنا نصل الى الدركة التي يضطر التاريخ بان يسوّد صحائفه البيضاء باعمال كلها خزي وعار فما رجال بلاطك الذين تعتبرهم مخلصين لك وصادقين في خدمتهم اياك الاّ شرذمة خائنة تسعى وراء تقليص ظل ملكك وهدم كيان مملكتك

تُب الى رشدك واتبع سبيل السداد . اقول ذلك وانا واثق تمام الثقة بان نصائحي هذه لا تجدي نفعاً ولا تغني فتيلاً بل ربما تكون مجلبة للخطر عليَّ ولكني اقول الحق ولو علَى نفسي لانّي اكون قد قمت بواجب وطني وخدمت شعباً تمتعت بنعمه . وما خلا ذلك فاني اتركه للتقادير الالهية التي تجري في اعنتها

حيفا عبد الله مخلص

رثاء فقيد الوطن

«المرحوم الامير محمد ارسلان»

جسمَ الاميرِ وعينُ ربك ترصدُ صبراً علَى الجاني سينصفك الغدُ
جسمَ الامير وفي الفؤاد تحرّقٌ كاد الفؤاد لحدهِ يتفأّدُ
نهديك من زفراتنا ودموعنا في تلك تسكابٌ وتلك تصعّدُ
أنا تعودّنا التجلُّد انما فقدانُ ذاتك عزَّ فيه تجلُّد
خطبٌ به قللُ الشآمِ تقلقلت وعرى جميع الساكنين تنهُّد
واكمدَّ وجه المجدِ بعد افول مَن هو في سما المجدِ المؤثَّل فرقدُ

وصحيح افئدة الورى وكليمها   فتصبَّر فيه الاسى متوقد
والشيخ لبنان اشرأبَّ معاتباً   دارَ السعادة والعتاب توعُّدُ
واللاذقيةُ أُرعشت جنباتها   لما نُعي فيها الامير محمدُ
لبست ثياب حدادها مرعوبة   والشعب من فرط التاوُّع يزبدُ
فكأنه كان الحياة وانهم   فقدوا به الفرد الذي لا يوجد
بعثوا بهِ حياً فعاد ببعثةٍ   من عالم الاموات فيها ينشدُ
«ما بين معترك المقاصد والعلى   أقضي شهيداً والعدالةُ تشهد»
«مامتُّ حتى شيب مفرق جاحدي   واصفرَّ وجهاً من فعالي الحسَّد»
يا يوم مصرعهُ المريع مُحقتَ من   سفر الحياةِ فأنت يومٌ اسود
بك غاب عن قطر الشآم اميره   وعن الاقارب والاصحاب المسعد
وعن الاب الآسي عليه سميره   وعن السياسة ركنها والمعضد
وعن النباهة والبداهة والحجى   غطريفها وعن الاعادي المرعد
وعن المشاكل مَن بثاقب فكرهِ   يجلو دياجيها فلا تتعقَّد

***

فارحل فقيد الاتحاد فما بقي   باقٍ علَى وجه الدنى ومخلَّد
ما انت اول راحلٍ متظلمٍ   فلكم قضى من قبل ظلماً سيِّد
فعساك خاتمةً تكون لجمعهم   وعسى شباب العدل فيك يجدِّدُ

سابا قيصر زريق



اقتراح

تبرعت حضرة الفاضلة الآنسة ميليا منور باهداء مجلة النفائس عن سنتيها الاولى والثانية لمن يجيد تشطير او تخميس هذين البيتين وهما لحضرة الاديب البارع حنا افندي قصاص قالهما بلسان جمعية التعاون الاخوي الطرابلسية لما بويع بالخلافة العظمى جلالة السلطان محمد رشاد الخامس

لكلِ عصابةٍ بندُ افتخارٍ تنافس فيه تيجانَ البلادِ
وعصبتنا لواءُ فخارها في تعلّقها بسلطان الرشادِ

وآخر موعد تنشر به المجلة اقوال الادباء اول تموز المقبل اما الجائزة فيصرح بها في عدد ١٥ تموز وقد فُوّض الحكم بها الى نخبة من ادباء طرابلس الشام برئاسة فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ محمد افندي الشهال

شذرات

بلاط السلطان

تقول بعض الصحف ان بلاط السلطان الجديد سيكون كبلاط ملوك اوربا. وتكون معيشة بلاطه خالية من البذخ والترف ونفقات بلاطه قليلة بالنسبة الى ما كانت عليه قبل عهده

﴿ السلطان ونيازي بك ﴾

لما وصل جلالة السلطان الى موقع باب السعادة عائداً من قصر بغداد رأى نيازي بك بطل الحرية فصافحه يداً بيد وقال له: « اشكركم على خدمتكم فلنجتهد ولنكن يداً واحدة بعد الان » فقابله نيازي بك بالشكر والامتنان وسار في ركابه الشاهاني حتى ساحل البحر

﴿ هدية سلطانية لبطل الحرية ﴾

منح جلالة السلطان ساعته الذهبية لنيازي بك بحضور مختار باشا الغازي واولاده قائلاً له : « ليس عندي ما امنحك اياه الا هذه الساعة واظن انك لا ترفضها · فالوالد يحق له ان يقدم هدية الى ولده

﴿ معاش السلطان ﴾

عين مجلس النواب، لجلالة السلطان مرتباً قدره ٣٥ الف ليرة في الشهر فارسل يقول للمجلس « ان المبلغ المعين كبير لاتستطيع الخزينة تحمله فانا اكتفي بعشرين الف ليرة في الشهر »

﴿ القسم السلطاني ﴾

هذه صورة القسم الذي أقسمه السلطان محمد الخامس « أقسم بالله العلي العظيم اني احترم احكام الشريعة الغراء واحكام القانون الاساسي واحفظ حقوق الامة والوطن »

شقاء الملوك

بمصلحة الامة » فاقول لكما بكل جرأة انكما اذا فعلتما ذلك تنقضُ على عرشكما وعلَى كل من يرثه بعدكما لعنة الله

ولما قالت هذا اتقدت عيناها بنار الغضب فأمسكت بيد غومفري وتقدمت به خطوتين الى الامام ثم قالت — ولقد أَقسمتُ امام مذبح الله علَى الحب والامانة لابنكما والان أقسم امامكما انه حرٌّ ان يفعل ما يشاء لان ارادته شريعتي وانا أَطوع له من بنانه . وأقسم لكما ايضاً بأني لن أسعى في سبيل ارتقاء هـذا العرش ولن أدخل هذا القصر الا اذا دعاني الى ذلك صوت أقوى من صوتكما واعني به صوت الامة

كانت غلوريا تتكلم والملك والملكة واقفان لا يتحرَّكان كأنهما تمثالان من مرمر . فلما فرغت تقدم الملك اليها وقال — ايتها الفتاة الشريفة اني أشهد علَى قسمكِ واثني عليكِ لانكِ عرفتِ كيف تكونين في حبكِ امينةً للبلاد غير اني من جهة اخرى اوضح لكِ انكِ بهذا القسم قد نقضتِ صحة شرعية قرانكِ بولي العهد لان الامة لن تعترف بهذا القران اصلاً

ثم تقدمت اليها الملكة فشكرتها وقالت — انتِ جميلة جداً يا غلوريا وانا واثقة بان حياتكِ ستكون سعيدة

فتبسمت غلوريا وقالت — بلا شك لان الحب فقط هو سعادة البشر · فانا لا ينقصني شيءٌ منه لاني واقفة حياتي له وهو غاية ما نرجوه النفس ومنتهى ما تطلبه الاماني

فاصفرَّت الملكة ووجمت عن الكلام



الفصل السابع والاربعون

﴿ الخروج من القصر ﴾

حينئذٍ دنت غلوريا من زوجها فقبلتهُ وقالت له — ابقَ انت عند والديك ودعني اعود الى الجزائر بصحبة الاستاذ هنري · ثم تحولت تريد الانصراف فاستوقفها الملك بقوله — لا أدعكِ تخرجين من هنا قبل ان اقدّم لكِ هدية تليق بشأنكِ وتذكركِ على الدوام بنا · ولما قال هذا دنا منها وبيده سلسلة ذهبية نيط اليها عدة لآلىء كبيرة · فمدَّ يده يريد ان يناولها اياها · فارتعشت غلوريا واصبغ وجهها بلون الدم وقالت — أبقِ هذه الهدية ايها الملك لغيري ممن لا تقدر ان تشتري محبتهم وامانتهم الا بمثل هذه اللعب الثمينة · نعم انكَ تقدّم لي هذه الهدية بنية صافية غير اني ارفضها لاني لا أرى فيها الا احتقاراً لي

ولما قالت هذا خرجت من الردهة فتبعها الاستاذ هنري باشارة من الملك وبقي غومفري واقفاً مكفهرّ الوجه · فألقى الملك

يده عَلَى كتفه وقال له وهو يتبسم — اني لا أُلومك يا غومفري علي محبتك لهذه الفتاة لانها بالغة أسمى درجات الجمال والعقل فضلاً عن ثبات جنانها وقوة ارادتها

فلم يجب البرنس بشيء

فقال الملك للملكة — أرى ان الامر قد قُضي عَلَى ما نشتهي لان غلوريا ستبرّ بقسمها لانها حرّة شريفة اما غومفري فبعد سياحته في انحاء العالم سيعود الينا ناسياً هذه العلاقة الصبيانية الوقتية

فقالت الملكة — غير ان غومفري لم يَعدنا بعد بشيء نرتاح اليه . ثم التفتت الى ابنها وقالت — فهل تعدنا يا غومفري بنسيان كل ذلك ؟

قال — كلاَّ يامولاتي فأنا لا اريد ان أُعدكما بشيء

فقال الملك — كن كما تشاء بشرط ان تكون النتيجة عَلَى ما نحب والان يمكنك ان تخرج لشأنك

فما صدَّق غومفري ان سمع ذلك حتى أدّى التحية الرسمية لوالديه وخرج

و بعد خروجه قال الملك للملكة — كيف رأيت هذه الحسناء ؟

فنظرت اليه الملكة بعين التوبيخ وقالت — انها جميلة جداً ولكنها غير مهذَّبة لانها تكلمت كلاماً خشناً لا يُقال للملوك ولا

لمن كان دونهم طبقات

فتبسم الملك وقال — اما انا فأرى كل كلامها عدلاً وصواباً لانها لم تنطق الا بالحقيقة المجرَّدة . وقد آنستُ فيها ذكاء مفرطاً وادباً جزيلاً كجمالها الباهر فهي كالشمس في ريعان النهار

فاحمرت الملكة وقالت — فهي اذاً قد وقعت من قلبك موقعاً رفيعاً وربما صرت تستصوب وَلَه غومفري بها . بل لو كنتَ انت في مكانه او لو كانت هي لغير ابنك لما تأخرتَ عن الهيام بها

فضحك الملك وقال — لا اكتمك ايتها الملكة ان قلبي قد مال الى هذه الفتاة ولكن ميل والدٍ لولده وليس علَى غومفري من حرَج في حبه لها وهيامه بها . اما اني أستصوب زواجه بها فهذا مستحيل لانه لا يليق بابن ملك ان يتخذ زوجته من بنات الشعب غير اني أظن الآن ان غومفري لن يتركها لانه وَلِهٌ بها كلفٌ بحبها

قالت — اذا كان غومفري لن يتركها ولن يتزوج بغيرها فقسمها وعدمه سيان

قال — ولكنها أقسمت ان لا تدخل هذا القصر ولا تشارك غومفري الا اذا دعتها الامة فهي اذاً لن تدخل القصر ولن تكون الزوجة الشرعية لغومفري لان الامة لن تدعوها

قالت — واذا متّ انت وصار الملك الى غومفري فهو حر ان يتزوج غلوريا ويرفعها الى درجة الملكات

قال ــ لعلك مصيبة في قولك فينبغي لناوالحالة هذه ان نبادر الى تزويجه بواحدة من بنات الملوك باسرع ما يمكن

قالت ــ نعم ٠ فبعد ان يتم سياحته يجب ان نرغمه الى الاقتران الشرعي رضي ام لم يرضَ

قال — ولعله في اثناء هذا السفر والجولان يسلو محبوبته فيكون لنا ما نشاء بدون اقل عناء

قالت — حبذا ما تقول غير اني اشعر بغير ذلك

قال ــ وما هو ؟

قالت — ان اجراءاتك ايها الملك تخيفني جداً لان حياتك الان قد أصبحت محفوفة بالاخطار فهل لك ان تقلع عنها حباً بمصلحة نفسك واسرتك ؟

قال — اما انا فارى في ذلك لذة فائقة ٠ فقد اطلعت على كل امر يتعلق بسائر طبقات رعيتي وشاهدت بعيني المسكنة والفقر وسائر اوجاع الامة وسمعت باذني شكواها وظلاماتها ٠ فانا لن ارجع عن عزمي الا بعد ان يسود العدل وتُنشر راية الحرية وتُستأصل من المملكة جراثيم الشرّ والفساد

قالت — حسن ٠ وحياتك ؟

قال — وهل انت الان تخافين علَى حياتي بعد كل هذه السنوات العديدة التي قضيناها معاً دون ان أشعر منك ولا بعاطفة واحدة

نحوي ؟

فاحمرّت الملكة ووجمت عن الكلام . ووقف هو يقول في نفسه «يا للعجب ! فهل تنبهت الان عواطفها بعد ان فات الوقت ؟ فماذا تنفع محبتها الان وقد ملأت قلبي صورة اخرى لايقدر ان يمحوها كرور الدهر ؟ . . »



الفصل الثامن والاربعون

﴿ رسالة ولي العهد ﴾

ولما انقضى ذلك النهار وخيم الظلام عاد الطبيب هنري من الجزائر فخلا بالملك وقال له — اني قد اوصلت غلوريا الى منزلها وقد سافر معنا الى هناك البرنس غومفرى ولم يشأ ان يعود بصحبتي بل آثر البقاء في الجزائر وأمرني ان أعود وحدي

فلم يستغرب الملك سفر ابنه وقال للطبيب — كنت اتوقع ذلك فلا بأس لانه سيهجر هذه الفتاة يوماً ما

فقال هنري — قد يكون ذلك في المستقبل البعيد اما الان فلا يتركها لان هيامه بها بالغ حد الافراط

قال — لا عجب في ذلك يا هنري لانه في عنفوان الشباب ومحبوبته يقل نظيرها بين سائر الحسان و يا ليتها كانت من سلالة الملوك لكننا زففناها اليه وارتحنا من كل مشقة

قال — ولكنها يامولاي ملكة في حسنها وخصالها

قال — هو كما تقول ولكنها خاملة النسب فلن تكون زوجة شرعية لغومفري . وهو في نهاية هذا الشهر سيسافر الى انحاء المعمور ويبقى في سياحته سنةً كاملةً وفي نهايتها سنزوّجه زواجاً رسمياً وننسى هذه الحادثة المؤلمة

فقال هنري — عسى ان يتم ذلك حسبما ترغب . ثم قام فانحنى امام الملك وخرج

وفي صباح اليوم التالي جاء الى القصر احد النوتية وبيده رسالة مختومة ومعنونة باسم الملك فسلمها لاحد حجاب القصر وعاد من حيث اتى . فاخذها الحاجب ودخل من ساعته فسلمها الى الملك . فتناولها الملك وفضها فاذا هي من ابنه غومفري وقد جاء فيها ما يأتي : « انتَ ترغب ايها الملك ان اسوح في اطراف العالم سنةً كاملةً فانا الان اخرج من مملكتك ولا أعود اليها الا اذا دعتني الأمة وستسافر معي زوجتي غلوريا لاننا اقسمنا لبعضنا ان لا يترك احدنا الاخر ما دمنا في قيد الحياة . فاذا ارادت الامة استدعائي يوماً ما فلن أُلبّي دعوتها الا اذا دعت ايضاً غلوريا لان نصيبي كنصيبها . اما الوجهة التي نروم السفر اليها فليس لاحد ان يعرفها غير الله ولكننا سنطلع من وقت الى آخر على كل احوال المملكة وشؤون البلاد فلن يفوتنا خبر من اخبارها والسلام »

ولما قرأ الملك ذلك طرح الرسالة الى الارض وجعل يخطر في مخدعه ذهاباً واياباً وهو في اشد حالات الهياج والغضب . ولكنهُ لم يلبث ان سكن غضبه فتنفَّس طويلاً وقال — ان غومفري لم يعمل شيئاً يُلام عليه . فهو بعمله هذا قد اظهر لي انه رجل شريف لا ينقض كلامه ولا يحنث بأقسامه ولو حُرم في سبيل ذلك العرش والسلطة ولو انه أطاعني ونبذ زوجته لاحتقرته في قلبي واعتبرته نذلاً جباناً . اما الآن فانا أثني عليه وأرغب من كل قلبي ان يملك بعدي لانه يستحق ذلك وزوجته تستحق ان تكون في مصاف الملكات »

الفصل التاسع والاربعون

﴿ جريدة الشعب ﴾

وكان بعد ذلك ان شاع خبر سفر ولي العهد وتقوَّل الناس في ذلك ما شاءوا فكانت تخميناتهم متباينة متناقضة ولا سيما لان ولي العهد سافر فجأةً دون ان يعلم احد بذلك ولم يذكر الملك والملكة لاحد شيئاً من هذا القبيل ولبثت الحقيقة غامضة عن رجال البلاط والامة

وحدث في تلك المدة ان اشتهر في العاصمة جريدة جديدة باسم « جريدة الشعب » انتشرت انتشاراً غريباً بين سائر طبقات

الشعب . وكان داود يوسف ينظر الى نجاحها وتهافت القراء عليها بعين الحسد والغيرة وصار يخشى ان تحل المحل الاول عند القرآء فلا يعودون يحفلون بجرائده . واتفق انه كتب في جرائده عدة مقالات افتتاحية اطرأ بها اعمال الجزويت وقدّر خدمهم الجليلة وقال في جملة كلامه « ان الملك كان قد رفض مطاليب الجزويت ولم يشأ ان يهبهم الاراضي التي التمسوها لبناء الدير والمدرسة غير ان جلالته عاد فتعطف عليهم بالاراضي المطلوبة . وما كادت جرائده تصدر بمثل هذا الكلام حتى صدرت « جريدة الشعب » مصدَّرةً بتزييف ما زعمه داود وفيها منشور الملك نفسه مذيّلاً بتوقيعه ومما جاء في هذا المنشور قول الملك «اننا بناء علَى التماس الاهلين قد رفضنا مطالب الجزيت لانها مضرة بصالح امتنا وشعبنا » . وما كاد يصدر هذا العدد من الجريدة حتى تهافت الناس عليها تهافتاً عظيماً بحيث صار قرّاوءها يُعدّون بمئات الالوف

وكان المنسنيور دل فورتيس اليسوعي بعد هذه الحادثة ان خطب في الكنائس خطباً عديدة مهيجة وصف بها الملك بقلة الدين والالحاد واستدرَّ عليه لعنة الله ونار جهنم الى غير ذلك مما يعرفهُ امثاله الذين يتسلحون بالدين لإهاجة العواطف واثارة الاحقاد واضرام نار الفتنة

واشتهرت في تلك الجريدة طائفة كبيرة من المقالات الرشيقة

بامضاء « باكن لروا » فكان جمهور القراء معجبين بذكاء كاتبها وبلاغته وتفننه في اساليب الانشاء وعَلَى الخصوص لان مواضيعه في الغالب كانت وطنية اجتماعية اشتراكية وكلها في المدافعة عن الامة والمطالبة بحقوقها والذود عن حياضها والحض عَلَى مقاومة كل سلطة جائرة.

وقد ظهر بين تلك المقالات مقالة رنانة في وصف اعمال كارلوس بيروس كاتم اسرار الدواتم جاء فيها بيان اكثر شروره ومساوئه. وما كاد كارلوس يطلع عليها حتى قام لها وقعد ولم يلبث ان استدعى زعيم الشرطة وقال له — ألا اطلب منك ياحضرة الجنرال ان تقبض عَلَى هذا المدعو باكن لروا لانه أُخذ بالجاسوسية ؟

فاجابه الجنرال برنغوف — نعم ولكني لا أجسر عَلَى القبض عليه الا اذا ظهرت لي شواهد جاسوسيته واخذتُ امراً بذلك عليه توقيع الملك نفسه

قال — امّا الادلة على كونه جاسوساً فكثيرة. واما ان نعطيك امراً بذلك بتوقيع الملك فهذا هين ايضاً لان الملك يوقع كل امر يُعرض عليه. ولكن اخبرني اولاً هل بحثت عن هذا الشقي وعرفت من هو وما غرضه ؟

قال — نعم عرفت بعض الشيء فهو رجل غني يكتب في الجرائد لا بقصد الكسب لانه في غنى عنه بل بقصد التسلي وقطع الاوقات. واني أنصح لك بتركه وشانه لاني لم أرَ فيه ما يدل على

فقطب كارلوس حاجبيه وقال — انت غير مصيب في زعمك فلو افترضنا انه لم يؤخذ بالجاسوسية افلا تقرأ مقالاته البذيئة في الجرائد ضدّ الحكومة؟ ولا يخفى عليك ان مثل هذه المقالات المهيجة تضر بالامة اضراراً فاحشة

قال — ولكني مع هذا لا اقدر ان اقبض على رجل لانه يكتب . والامة حرة ان تقرأ كتاباته وتقبلها او ترفضها . فالاقلام عندنا مطلقة من كل قيد شأنها في كل بلاد دستورية حرّة وليس في يدي امر يخولني القاء القبض على مثل هذا الرجل

فظهرت علامات الغيظ على وجه كارلوس وقال — ولكني مع هذا ارجوك ان تراقب حركات هذا الرجل كيفما كانت الحال

قال — سأراقبه بكل ما في وسعي ولدى اول شبهة أُلقي القبض عليه اذا اخذتُ امراً بتوقيع الملك . ولكني احذّرك ان باكن لروا هو من اصدقاء سرج طورد وأحد اعضاء جمعيته . ومعلوم ان معاداة واحد من اعضاء هذه الجمعية الان قد تسبب نتائج وخيمة

قال — وهذا سرج طورد قد كان يجب شنقه منذ خمس سنوات على الاقل

قال — ولمَ لم تفعل ذلك في تلك المدة ؟

قال — لاني لم اكن اذ ذاك في درجة من السلطة تبيح لي ذلك

قال — ولماذا لا تفعل ذلك الان ؟

قال — لانه ...

فقاطعه الجنرال بقوله — لانك اذا بادرتَ الى مثل ذلك تقوم في وجهك العاصمة ونصف الجيش وإنا مثل رئيس الشرطة أُنهي اليك ذلك لتكون على بصيرة فيما انت فاعل . واعلم بان خطراً كبيراً يتهدّد الحكومة الان

قال — ولكن الحكومات باسرها في هذه الآونة مُهدَّدة بالاخطار وعندي ان الحكومة التي ترهب جانب الامة لا يجوز ان تسمَّى حكومة

قال — واذا كان الحق في جانب الامة فما الذي تقدر ان تفعله الحكومة ؟

قال — نقدر ان تفعل كثيراً لان يدها القوة

قال — واذا تنبَّهت الامة وارادت ان تنهض للمطالبة بحقوقها الحيوية فاي قوة تقف في وجهها ؟

قال — مهما يكن الامر فانا لا ارضى بمثل هذه الفوضى ..

ولم يبطىء الجنرال بعد هذا الحديث ان حيَّا وخرج وهو يقول في نفسه « مسكين انت يا كارلوس لانك لا تعلم ان ساعة

عذابك قد دنت فلن يتسنَّى لك ان تبقى طويلاً في منصة الاحكام ما دام باكن لروا هو عدوّك



الفصل الخمسون

﴿ هياج الشعب ﴾

ولم يخطيء برنغوف في رأيه لان الامة كانت هائجة ناقمة على الحكومة بسبب الضرائب الشديدة التي لم تزل تثقل كواهلها وقد ارتفعت اسعار الحنطة وسائر المأكولات ارتفاعاً فاحشاً . وكان الناس يعقدون الاجتماعات المختلفة بقصد الاتحاد والاعتصاب ويرفعون الى الملك ظلاماتهم وشكاويهم غير انه لم يبالِ بشيء من ذلك ولبث كأنه لا يسمع ولا يعي شيئاً . اما سرج طورد ولوطيس فكانا ينتهزان كل فرصة فيخطبان في الناس الخطب الحماسية حتى اصبح الجميع قيد اشارتهما . وكان باكن لروا ورفيقاه لا يزالون يسعون السعي المحمود في خدمة الجمعية الاشتراكية ونشر مبادئها وفوائدها . وقد اشتهر باكن اكثر من سائر اعضاء هذه الجمعية بحسن خدمته وولائه وعدم مبالاته بالاخطار والشدائد حتى احبه سرج ومالت اليه لوطيس بكل قلبها حتى انها كانت تفضله بكثير من الصفات على سرج . وكانت على الخصوص تعجب بمقالاته البديعة التي كان ينشرها في الجرائد فكانت تقرأ المقالة الواحدة منها

مرات عديدة وهي في كل مرة تزداد اعجاباً به وميلاً اليه · ولم تلبث ان صار ميلها حباً صحيحاً استعبد كل جوارحها وأفقدها كل راحة · فلم تكن ترى نفسها سعيدة الا حينما تراه · فخافت ان يزداد بها هذا الحب فتنسى المهمة التي ندبت نفسها اليها · وكان باكن قد أصابه ما اصابها فلم يكن يلذّ الا بمحادثتها والجلوس الى جانبها غير انه كان يخشى علَى الدوام ان يطلع سـرج علَى مكنونات قلبه فتسوء العاقبة ·

وكان بول زوش الشاعر قد تحسنت احواله تحسناً كلياً وذلك بفضل باكن لروا · وهو ان بول ألّف كتاباً صغيراً سماه « نشيد الثورة » ولما لم يكن لديه ما يقوم بنفقات طبعه اخذه باكن وطبعهُ علَى نفقته واعلن عنه في جريدة الشعب · فلم يمض الا القليل حتى نفدت الطبعة الاولى منه واضطر ان يجدّد طبعه ثانياً وثالثاً حتى نال بول بسبب ذلك غنىً وافراً وصار يحب باكن حباً يفوق العبادة

وفي احد الايام اشتدّ الهياج بالشعب لان جمهوراً غفيراً منهم باتوا علَى الطوى لايجدون ما يمسكون به رمقهم فتجمهروا وتسلحوا كل بما لديه واحتشدوا حول القصر وهم يصرخون « نريد خبزاً وعدلاً » وكان عددهم نحو عشرين الفاً · فارسلت الحكومة فرقةً من العسكر لتفرقهم فلم يتسنَّ لها ذلك · وكان كارلوس بيروس في تلك الساعة واقفاً في نافذة منزله ينظر الى اولئك المحتشدين بوجه كالح

بلون البهار كأنه احد الاموات وقد خشي ان يتفاقم الهياج وتشتد الثورة بحيث يعسر على الحكومة ان تعيد السكينة الى نصابها · وان هو لكذلك اذ راى شخصين قد دخلا بين الهائجين وباشارة واحدة سكنا الاضطراب وفرقا تلك الجماهير المؤلفة · ولم يكن ذانك الشخصان الا سرج طورد ولوطيس · وقد راى كارلوس وهو مطل من النافذة كيف انقسم الناس فرقتين وسارتا واحدة بقيادة سرج والاخرى بقيادة لوطيس في جهتين مختلفتين والجميع يهتفون لهما حتى ان الجنود انفسهم كانوا يهتفون بمنتهى الحماس والاعجاب · فاتقدت عينا كارلوس غضباً ولمع في عينيه شرر الانتقام · وهو في تلك الحالة دخل عليه المركيز لوتيرا فاستقبله كارلوس وهو يتلظى غضباً وقال - ان هذا الحالة لا تحتمل ايها المركيز فالامة في هياج حقيقي

فقال المركيز — بل قل في ثورة حقيقية لان الجمهور كاد يحرق القصر لولا هذا الاثراكي سرج طورد

فقال كارلوس هازئاً — وبمساعدة عشيقته لوطيس

قال — لو كانت لوطيس عشيقته لما اكتسبت هذا النفوذ العظيم في الامة · لان العموم يحبونها ويحترمونها كقديسة · فليس بينهما اذاً ما يسمى عشقاً

فوجم كارلوس وعاد فالتفت من النافذة فلم يرَ احداً من الثائرين بل سمع اناشيدهم الحماسية تملأ الفضاء

فقال لهُ المركيز ـ ألم ترَ الملك في هذه الاثناء ؟

قال — لم أرهُ منذ اكثر من ثلاثة اسابيع

قال — كنتَ تقول انه لا يجسر ان يعترض على قرار الوزراء من جهة الحرب. وها هو قد اعترض وفاز بمرغوبه لان الامة تعضده

قال — قد ساعده البخت هذه المرة فلن يفوز في غيرها. وماذا يضرنا نحن ما دامت غايتنا الثروة؟ فاذا كنا لم نتوصل الى اضرام نار الحرب فيمكننا ان ننصرف الى غير ذلك من المنافع

قال ـ اراك تبني قصوراً في الهواء. لانك لا تكاد تخطو خطوة الى النجاح حتى تقف في سبيلك العقبات الجسيمة. وقد صرتُ اخشى عليك

فحملق فيه كارلوس وقال ـ وكيف ذاك ؟

قال ـ اما انا فقد قدمت للملك منذ يومين استعفائي من منصبي لاني رأيت الموقف حرجاً ولست اريد ان اتعرَّض على الدوام للخطر

فلما سمع كارلوس ذلك ضرب بيده على المائدة وقال ـ كيف تترك السلطة في مثل هذه الايام الحرجة ؟ افلا تخشى ان يقال فيك انك جبان ؟

قال ـ لا اخشى ذلك ما دمت بمعزل عن الاخطار

قال ـ انك في ضلال مبين وسترى ماذا افعل انا في مركزك